إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة – العدد الخامس والأربعون – ربيع ١٤٠١ش / آذار ٢٠٢٢م
20.1001.1.22516573.2022.12.45.6.8
صص ٩ ـ ٣٢

دراسة نقدية لقصيدة أندلسيات لجروح العراق على ضوء نظرية لاكلا وموف

پرويز أحمدزاده هوچ (الكاتب المسؤول)*
علی صيادانی**
عبدالأحد غيبی***
عاطفة رحمانی****

الملخص

يعتبر التحليل النقدی للخطاب محاولة جادة لتحليل النصوص. إنّ الوظيفة الأساسية للتحليل النقدی للخطاب، فهم الخطاب من خلال الصراع معه والدخول المنهجی إلى أعماقه لبلوغ فهمه والمعرفة به ولا يخفى على أحد ما يضطلع به من دور الرئيسی فی إشاعة دلالاته ومعانيه. مسار التحليل فی هذا الاتجاه يختلف عن مسار تحليل الخطاب من حيث المنهج والرؤية. فی التحليل النقدی للخطاب، تتجه الدراسة نحو البحث فی العلاقة بين الخطاب وبين السلطة والأبعاد السياسية والاجتماعية للخطاب. بشری حمدی البستانی من الشاعرات البارزات فی الشعر العراقی الحديث ومكانتها بارزة وظاهرة وقد أثرت أعمالها الحركة الشعرية المقاومة وحظی شعرها نظراً لبنائه اللغوی الممتاز ونثرها أيضاً باهتمام الباحثين ولايزال يجلب اهتمامهم. يحاول هذا البحث عبر الاعتماد على منهج التحليل النقدی للخطاب وفی ضوء نظرية لاكلا وموف دراسة قصيدة أندلسيات لجروح العراق من الشاعرة. تعد هذه القصيدة من أشهر قصائدها التی أنشدتها فی سنوات الحصار والاحتلال وتحتوی على رؤية حضارية ومواقف متعددة من الصراع الخطابی ومحاولة لتثبيت الأنا وتقويض العدوان. إن البناء الإيدئولوجی لخطاب بشری البستانی الشعری وثراء القصيدة من حيث البناء والمعنى يقود الباحث إلى مثل هذا الجهد العلمی. موضوع المقاومة يجسّد الدال المحوری لهذه القصيدة ودعوى الخيانة وتسليم مفاتيح البلاد إلى الأجانب والصراع مع المحتل فی المستوى الأيدئولوجی الخطابی من أبرز الدوال المتحركة تمفصل حولها مجموعة من الدوال الأخرى تؤكد المسار الدلالی للدوال المركزية فی تمحورها حول الموضوعات المختلفة المتحرّكة والتأكيد على الحلم العربی. يعتبر الصراع مع الأمل والانتصار على الموت والعدوان من الدوال المحورية الأخرى فی القصيدة وسلسلة التكاثف فی الخطاب تأتی ضمن المحاولة لإسقاط خطاب الآخر ومسعاه الإيدئولوجی والكشف عن الهوية الثابتة للآخر وفضح الهوية الحقيقية للعدو الذی يجر الخراب والدمار فی العراق الحضاری أيضا محاولة تقويضية من الشاعرة لبشری البستانی لفضح حقيقية السلطة وأفعالها العدوانية التی تعبر عن إرهاب الاحتلال الأمريكی عبر الاعتماد على اللغة الشعرية الموحية.

الكلمات الدليلية: بشری البستانی، أندلسيات لجروح العراق، التحليل النقدی للخطاب، لاكلا وموف.

*. أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدنی بأذربايجان، تبريز، إيران
ahmadzadeh1975@yahoo.com
**. أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدنی بأذربايجان، تبريز، إيران
***. أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدنی بأذربايجان، تبريز، إيران
****. طالبة مرحلة الدكتوراه فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدنی بأذربايجان، تبريز، إيران

تاريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٩/٠٩ تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠٨/٠٩

المقدمة

التحليل النقدى للخطاب طريقة جديدة فى تحليل الخطاب بالصورة العامة بخروجه عن القراءة التامة للخطاب والاهتمام بالعلاقة الثنائية الحتمية بين الخطاب وبين ظروف الإنتـاج أى الظروف المحيطة التى تعدّ الحافز والباعث لتشـكيل الخطاب ولهذا تصبح البيئـة والأجـواء المحيطة مصب الاهتمام فى التحليل النقـدى للخطاب وكونه يتجاوز مسار التحليل مثل التداولية والسيميائية والأسلوبية وغيرها وكما يتناول البناء اللغوى للخطاب، فإنه يحاول شـرح علاقة الخطاب مع السلطة ومع المجتمع ويرى أن الخطاب يحمل وظيفة سياسية واجتماعية.

تعد نظريـة فيركلاف من أهم النظريات فى هذا الحقـل النقدى الجديد وله الفضل فى ظهور التحليل النقدى للخطاب وتوسيع مفهومه ثم جاءت فروعه المتعددة وأشهرها نظرية لاكلا وشـنتال موف وتعتبر النظرية مزج بين نظريات ما بعد البنيوية والسيميائية وما جاء به غرامشى فى كتاباته حول التحليل النقدى للخطاب. يسعى هذا البحث عبر الاعتماد على هذا المنهج النقدى لدراسة قصيدة أندلسيات لجروح العراق من الشاعرة العراقية بشـرى حمدى البستانى التى انطلقت من الموصل وواصلت مراحلها الدراسية وحصلت على شـهادة الدكتوراه فى الآداب وبعد تخرجها من الجامعة عينت أسـتاذة للغة العربية بجامعة الموصل وتلقت الشهادات والشارات التقديرية من مختلف الجهات. (أصلانى، ٢٠١٥م: ٨٥)

من أشـهر دواوين الشـاعرة ديوان أندلسـيات لجروح العراق نشرته سنة ٢٠٠٦م وركـزت فيه على الحضارة ومعالم الحضـارة العريقة لإعادة الحياة والحلم إلى الأرض والشعب المصاب بالعنف والوحشية وفى هذا الديوان قصيدة تحمل نفس العنوان الذى يتصدّر المجموعة الشـعرية وهى أندلسيات لجروح العراق. «تتكون القصيدة من ثلاثين مقطعاً رسمت فيها الشاعرة التجربة التى تعيشها الذات لحظة الاحتلال الأمريكى للعراق من عام٢٠٠٣م وقامت بفضح المشروع الأمريكى وتعرية كل الأهداف التى رفعها هذا المشـروع ومحاولة ومعالجة لهذه القضايا عبر رؤية شعرية حضارية من خلال استجلاء الإرث الحضارى للأرض وهى تواجه العدوان الهمجى.» (الردينى، ٢٠١٢م: ٧)

ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق وشعبه أعاد إلى الأذهان ذكريات الخراب والدمار والهدم عبر العصور وكان الاحتلال استمراراً للخراب والدمار الذى شهده العراق ولا يزال؛ غير أن الأرض لا يعتريها الضياع ولا الموت وهى تنهض وتقوم بعد كلّ احتلال وفعل همجى تمارسه السلطة وهذا ما تؤكد عليه بشرى البستانى. وما يجلب انتباه الباحث فى القصيدة هو تحليل الواقع السياسى للعالم العربى عبر استخدام الرافد التراثى الموسوم بالأندلس والحضارة الإسلامية فيه وتأتى الدراسة وفق المحاور الأصلية والفرعية تحت ما يسمى بعملية التمفصل فى تمحوره حول المكونات الخطابية وتكوين الدوال المختلفة وتأييد اللغة الخطابية للمقاصد المختلفة فى نظرية لاكلا وموف. يجرى التحليل بعد اختيار الشواهد المرتبطة بالمحاور ثم دراستها ونقدها عبر الاعتماد على الرؤية النقدية والمقومات التى يقدمها لاكلا وموف للتحليل النقدى للخطاب وهدف الباحث من الخوض فى هذا الجهد العلمى المقدر هو معرفة هذا الخطاب الشعرى ومعرفة الرؤية والإيدئولوجيات الشعرية التى تطرحها الشاعرة تجربتها الشعرية لمواجهة السلطة والقمعية الاستعمارية.

أسئلة البحث

١. ما أهم الدوال المحورية والعائمة فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق؟
٢. ما الاتجاه الايدئولوجى للشاعرة فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق؟
٣. ما أهم المواصفات اللغوية لقصيدة أندلسيات لجروح العراق؟

خلفية البحث

هناک دراسات كثيرة قامت بتطبيق نظرية لاكلا وموف على شتّى النصوص، كما تم إنجاز الكثير من دراسات لسانية وغير لسانية فى شعر بشرى البستانى وفحصته من مختلف النواحى، غير أنّه لم يعثر الباحثون على دراسة قامت بتسليط الضوء على قصيدة "أندلسيات لجروح العراق" اعتمادا على نظرية لاكلا وموف، مع ذلک هناک دراسات تقترب من مقالتنا هذه بشكل من الأشكال، ومنها:

– مقالة: «**تحليل گفتمان انتقادى نامه محمد بن عبدالله و منصور عباسى بر اساس**

نظريه لاكلا و موف» (تحليل الخطاب فى رسالة محمد بن عبدالله و منصور عباسى فى ضوء نظرية لاكلا وموف)، لعبدالباسط عرب يوسف آبادى و طاهره ميرزاده، مجلة لسان مبين، ١٣٩٥ش. هذه المقالة تناولت المراسلات السياسية بين محمد عبدالله ومنصور العباسى اعتمادع على نظرية لاكلا وموف رامية إلى كشف المواضع السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك. ومن نتائج هذه المقالة هى أنّ الدال المركزى فى الرسالتين هى الخلافة على المسلمين ولتبيين هذا الموضوع حاول المرسلان بتوظيف التضاد والغيرية والانزياح فى خطابهما.

– مقالة: «**نظريه تحليل گفتمان لاكلا و موف و نقد آن**» (دراسة نقدية لنظرية لكلا وموف فى تحليل الخطاب)، لمحمد تقى مقدمى، مجلة معرفت فرهنگى اجتماعى، ١٣٩٠ش. هذه المقالة قامت بتعريف نظرية لاكلا وموف بشكل موجز ثم تناولتها على منظر نقدى فتبين نقاط قوّتها وضعفها وفى النهاية وصلت إلى أن نظرية لاكلا وموف لم تهتمّ بالظواهر الاجتماعية والسياسية وقامت بالرفض على سياق المحيط والحقائق الثابتة فى العالم الخارجى من النص وفى الحقيقة هذه النظرية رفضت الحقائق الثابة التى وصلت إليه نظريات أخرى مثل علم الظواهر والوجودية.

– مقالة: «**خطاب الأمل فى شعر بشرى البستانى دراسة ونقد**»، لعلى باقر طاهرنيا وحسين إلياسى، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية ٢٠١٦م. قامت هذه المقالة بدراسة عنصر الأمل والتفاؤل الشعبى فى الخطاب الثورى الشعرى لبشرى البستانى اعتمادا على المنهج الوصفى – التحليلى وتوقفت فى الشواهد الملائمة ودرست علاماتها ودلالاتها لاستكشاف الرؤية الفكرية للشاعرة فى خطابها هذا. ونهاية المطاف وصلت إلى أنّ بثّ روح الأمل والتفاؤل تعتبر استراتيجية فكرية عند الشاعرة لدعوة المخاطب إلى المقاومة أمام العداون،كما أنّ الحبّ هو عامل يغرس الأمل والتفاؤل فى ذهن المخاطب.

–مقالة: «**گفتمان كاوى شعر بشرى بستانى بر اساس رويكرد نورمن فركلاف (مطالعه موردى: دو قصيدة الحركات ومكابدات ليلى فى العراق)**، (تحليل لخطاب فى شعر بشري البستانى فى ضوء منهج نورمن فركلاف؛ قصيدتا الحركات ومكابدات ليلى فى العراق نموذجاً)»، لعلى باقر طاهرنيا وحسين إلياسى، مجلة لسان مبين، ٢٠١٨م.

تناولت هذه الدارسة قصيدتى الحركات ومكابدات ليلى فى العراق من ديوان البحر يصطاد الضفاف لبشر البستانى اعتمادا على نظرية فركلاف التى تتبنّى على الوصف والتفسير والتبيين. وحاولت الكشف عن استراتيجية الشاعرة فى القصيدتين للمواجهة مع حزب البعث العراقى وسياساته الحربية. فوصلت فى النهاية إلى نتائج وهى: تستخدم الشاعرة فى قصيدتيها من الألفاظ الاستعارية وتقنية القناع والثنائيات الأدبية والتناص وغيرها من التصاوير الفنية لتحقيق هذه الاستراتيجية وكشف الستار عن عدم المشروعية لحكومة الصدام بدعوة الشعب العراقى إلى المقاومة والصمود، كما ظهر لنا أن الخطاب فى القصيدتين يعتبر خطابا ثوريا يسعى للتغيير والتحوّل.

– مقالة: «**الانزياح فى البنية النصية عند بشرى البستانى؛ تراسل الحواس أنموذجاً**»، لعلى باقر طاهرنيا وحسن إلياسى، مجلة إضاءات نقدية، ٢٠١٨م. قامت المقالة بدراسة دور تراسل الحواس فى الخطاب الشعرى لبشرى البستانى وفاعلية هذه الصنعة البلاغية فى التعبير الشعرى عندها وتبيين الدلالات والإيحاءات القائمة فيها. ينقسم فيها البحث إلى الحسّى والدلالى. فيبين لنا أنّ التراسل يدور فى المحورين: الأول هو المحور الحسّى الذى يتراوح بين المرئى والشمّى وفى المحور الدلالى بين الشمّى والانتزاعى. كما كسر التراسل العلاقات المألوفة بين الفعل والفاعل وبين المضاف والمضاف إليه وبين الموصوف والصفة وبين المبتدأ والخبر.

– مقالة: «**التشكيل الجمالى ومحنة الحرب فى قصيدة (أندلسيات لجروح العراق) للشاعرة العراقية بشرى البستانى دراسة أسلوبية**»، لفارس عبدالله بدر الرحاوى، مجلة الآداب، ٢٠١٧م. عالجت هذه المقالة قصيدة أندلسيات لجروح العراق اعتمادا على منهج الأسلوبية. وعكفت على القصيدة بمنظورين: الأول الشكلى والثانى هو النفسى، كما هو المعلوم فى العنوان من تركيب التشكيل الجمالى ومحنة الحرب. فى الحقيقة إنّ هذه المقالة فى صدد دارسة أسلوب الشاعرة فى تقديم أسباب المحنة تارة وكيفية التعبير عنها تارة أخرى. وفى النهاية استنتجت أنّ جانب الموسيقى له أثر واضح فى خلق جماليات إيقاعية كبيرة، فيتمثّل فى الحالة النفسية للشاعرة البستانى المتصارعة مع حالة الحرب بكلّ تفاصيلها المأساوية، كما يتجسّد الخبرة الواعية للشاعرة ببنائها العروضى،

وجملتها الشعرية بإيقاعاتها.

وأمّا بعد ذكر سابقة البحث وذكر بعض نتائجها فتبيّن لنا أنّ بحثنا هذا لا يرتبط ارتباطا وثيقا بما سبق ذكره لأنّ بحثنا هذا يتطرق إلى القصيدة المنشودة اعتمادا على نظرية لاكلاف وموف أوّلا وثانيا يتركزّ على عنصر المقاومة بوصفها دالا مركزيا فى القصيدة. كما يتناول العلاقة بين النص الشعرى والسلطة الاجتماعية.

منهجية البحث

يعد هذا البحث محاولة نقدية لدراسة شعر بشرى البستانى والمنهج المتبع فيه هو منهج التحليل النقدى للخطاب وتم اختيار نظرية لاكلا وموف لتحليله وفق المحاور الأصلية والفرعية والمؤشرات الأساسية التى تطرح فى هذا المنهج ولكن قبل أى شىء يتم تحليل الفضاء المحيط بالقصيدة باعتباره مقوماً أساسياً لتحليل النقدى للخطاب وبعده تتم الدراسة اللغوية للخطاب الشعرى وصولاً إلى دراستها وفق ما يطرح لاكلا وموف.

التحليل النقدى للخطاب وتحليل الخطاب عموماً

الخطاب هو فعل منطوق أو مكتوب يتمايز عن النص بحضور الأطراف الأساسية فيه وحتمية وقناعة بالتأثير وفرضه فيه والعلاقة بينه وبين المجتمع أو فى كونه وليد المجتمع وله العلاقة الثنائية بينه وبين البيئة المحيطة التى يعيش فيها المبدع والمرسل للخطاب ووجود المرسل إليه فى العملية التخاطبية حتما ولا مناص منه وهذا ما يميز النص عن الخطاب. تحليل الخطاب هو دراسة الخطاب عبر الطرق والمسالك التحليلية العديدة. ظهر تحليل الخطاب بعد ظهور الخطاب وولوجه حرفياً واسمياً فى الخطاب النقدى المعاصر وكان ظهوره بمثابة القفز المعرفى الجديد فى مجال النقد والتحليل والحركة الاستكشافية فى عالم النقد والتحليل والحركة النقدية الجديدة تشعبت وتفرعت واختلفت مناهجها ومآربها من الخوض الفنى فى مرحلة التحليل. إن نظرية تحليل الخطاب تقوم على مرتكز ألسنى فى مداها الأول فوظيفة دارس الخطاب الأولى هى التميز بين الألسنية الأساسية والإضافية فى لغة الخطاب وبحسب فان دايک يمكننا

إدراج البحث التحليلى التجريبى ضمن حقل البحث العام للألسنية وعلوم الاتصال. (بدرى، ٢٠١٨م: ٤١٥)

مما يقودنا إلى أن الوعى بتحليل الخطاب الجديد فى ظهوره لا يتجاوز الظاهراتية الخطابية والظاهر الألسنى للخطاب فى إطار مجموعة من الطرق التى لا تهتم ولا تكترث سوى بالنص والخطاب عبر القراءة النصية والخطابية البحتة الخالصة مثل التداولية والأسلوبية والسيميائية وغيرها من المناهج التحليلية التى لا تخرج عن إطار الخطاب والقراءة البحتة للأنساق الدلالية واللفظية للخطاب وأما التحليل النقدى للخطاب هو صورة متكاملة عن تحليل الخطاب ولفظة النقدى فى هذا المصطلح يميز هذا المسار التحليلى عن تحليل الخطاب عموماً. يعود الفضل فى ظهور التحليل النقدى للخطاب إلى الجهود النقدى والمساعى المعرفية لنورمان فيركلاف الذى لعب دوراً أساسياً فى تطويره وبعده روداک وفان دايک يعتبران من المنظّرين المشهورين المرتبطين بهذا الحقل العلمى. وقد استمدَّ التحليل النقدى للخطاب أصوله النظرية من مصادر متعددة وانفتح على علوم مختلفة من اللغويات النصية والأنثربولوجيا والفلسفة وعلم النفس الاجتماعى والعلوم المعرفية والدراسات الأدبية والمعرفية واللغويات التطبيقية واتصل بالعديد من المجالات العلمية وينهل من مناهجها ومعارفها بما يحقق أهدافه وغاياته. (فوداک، ٢٠٠٥م: ١٨)

الأخذ والاستقاء من مجال الأنثربولوجيا وعلم النفس الاجتماعى من المحاور الأساسية التى تميز هذا الحقل الجديد عن تحليل الخطاب كما نتطرق إليه لاحقاً. فتحليل الخطاب، قراءة لغوية ظاهراتية وكما قال فيركلاف فى كتاباته النقدية يعرف التحليل النقدى للخطاب بأنه «يتميز عن دراسات الخطاب والتحليل العام بأنه منهج يتضمن العديد من التخصصات والأساليب المنهجية فهو لا يهتم بالبحث فى وحدة لغوية وإنما بدراسة الظواهر الإجتماعية المعقدة بالضرورة» (القايد، ٢٠١٩م: ٥٤) أى لا يكون هو فى تعامله مع النص أو الخطاب القراءة الظاهراتية البحتة بل إلى جانب اهتمامه بالأنساق الظاهراتية يهتم ويقوم بتحليل العلاقة بين الخطاب والفضاء المحيط بالخطاب أو الظواهر الإجتماعية وينطلق هذا البعد عن الارتباط الوثيق بين الخطاب

وبين المجتمع باعتباره وليد المجتمع وابن أحداثه وهذا هو ما يؤدى إلى الاهتمام بالظواهر الاجتماعية فى التحليل النقدى للخطاب وثمة ما يميز التحليل النقدى للخطاب عن تحليل الخطاب هو الدراسة والبحث فى العلاقة الكامنة بين الخطاب بوصفه وليد المجتمع وبين السلطة وفى هذا الاتجاه يعد الخطاب ممارسة اجتماعية ممتازة يسبب تغيير ممارسات السلطة؛ فالعلاقة الجدلية الديالكتيكية بين الخطاب والسلطة هى الجزء الأساسى فى التحليل النقدى للخطاب وهو ما يميّز التحليل النقدى للخطاب عن تحليل الخطاب بصورته العامة لدي المنظرين والباحثين.

دراسة قصيدة أندلسيات لجروح العراق

القصيدة مليئة بالطاقات الإيحائية الثرة من الناحية اللغوية واللغة أداة التواصل والإبداع فى القصيدة ولها شحنة دلالية ووظيفتها تحديد الدوال المركزية والعائمة وحالة الصراع الإيدئلوجى فى قصيدة بشرى البستانى. ما يلفت النظر فى هذه القصيدة هو الحضور الكثير للتراث فى التعبير والالقاء وفى الحقيقية يعتبر التراث بأنواعه المختلفة الوسيلة المهمة للشاعرة للتعبير والبوح بمشاعرها وأحاسيسها وخوالجها النفسية وأول ما يلفت النظر هو الحضور الإيحائى للفظة الأندلس فى العنوان وهذه اللفظة تمثل الدال المحورى فى هذه القصيدة والامتزاجية بين الأندلس وبين العراق هو ما تشيعها الشاعرة فى القصيدة ونقطة التواصل والعلاقة بين العراق والأندلس هى الجروح؛ صار العراق ضحية الخيانة والتحالف مع الأعداء كما حدث فى الأندلس الحضارية حيث سقطت بسبب الخيانة والتحالف مع الأعداء.

الدوال المحورية للقصيدة

تنقسم دوال النص أو الخطاب فى نظرية لاكلا وموف إلى الدوال المحورية والدوال العائمة ويرى لاكلا وموف أن الشخص أو المفهوم الموزع الذى تتمفصل حوله الدوال الأخرى هو الدال المحورى فى الخطاب (Laclau & Mouffe.1985. 112) وحضور الدوال العائمة فى الخطاب يأتى للتأكيد على الدال المحورى. يمثل الدال المحورى العمود الفقرى للخطاب واذا كان الخطاب المجموعة فالدال المحورى البؤرة والمركز

فـي الخطاب وهو الذى تجذب إليه الدوال الأخرى، بعبـارة أخرى إنّ الدال المركزى يعـدّ محورا فى داخل الخطاب ويكون مفصلا لتتـمّ العلاقة بين الدوال الأخرى. توجد فـى هذه القصيدة مجموعة من الدوال المحورية وحولهـا الدوال المتحركة العائمة ترتبط بصـورة وثيقـة مع الدوال المركزية. الـدال المحورى لهذه القصيدة هو سلسـلة الخراب والغزو المسـتمر على بغداد من المغول وهجمة هولاكو واستمرارية الهجوم من الأزمنة القديمة حتى الحاضر المأزوم بفعل العدوان الأمريكى. تسـتخدم بشـرى البسـتانى فى مسـتهل المقاطع كلها التكرار للتعبير عن استمرارية الغزو على العراق والبنى التركيبية تقود وتحيل إلى الحالة العراق المأساوية والحضارته العريقة التى ضربت ريح الاستلاب والقهر والبطش وجهها منذ الزمن البعيد حتى يومنا هذا.

يقوم مسـتهل المقاطع علي بنى ثابتة ومتغيرة للتعبير عن الحالة السـلبية والمأساوية للعراق مثل: «دَباباتُ السَلبِ تَدورُ، وَدَباباتُ الحقدِ تَدورُ، ودَباباتُ القَهرِ تَدورِ، وَدَباباتُ المَوتِ تَدورُ» (البسـتانى، ٢٠١٤م: ١٢٩-١٠٩) الدال المحورى الآخر فى هذه القصيدة هـو المزج بين محنة الأندلس ومحنة العراق بشـكل مباشـر والعراق اليوم عند بشـرى البستانى يعانى مما كانت الأندلس تعانى منه وأدى إلى ضياع الحضارة الاسلامية فيها: قلبُ الليلِ يَنزِفُ أندَلُسَـاً أخرى وَفِلسـطينُ تَطلَعُ مِن عَينِ غَزَالٍ (المصدر نفسـه: ١١٠) والليل هو الصورة الحقيقية للهوية الأمريكية بحيث القتامة والظلال والسـواد وهذه هى الحقيقية للهوية الأمريكية فى حضورها فى الشـرق الأوسـط والأندلس الأخرى هى العراق بحيث صار ضحية الخيانة والركون للضعف وتسـليم المفاتيح للأجانب الطامعين فى ثروات العراق.

إلـى جانب هـذه الدوال المحورية يوجـد الدال المحورى المتمثل فى ترسـيخ حالة الخـروج من الحصار الأمريكى الراهن وبلوغ لحظة الحرية والانفتاح التام من الحصار الأمريكى ووسـيلة الشاعر فى التعبير عن هذه الحالة: قُبورُ الشُّهَداءِ تَنهَضُ فى الفَجرِ/ تَهبِطُ لِلنَّهرِ/ يَمامٌ أخضَرُ يَتبَعُهَا/ يَنثَالُ عَلَيهَا الظَّلُّ الأخضَرُ (المصدر نفسه: ١٠٩) ونهوض قبور الشهداء فى هذه القصيدة تعبير عن الحياة الجديدة بعد دحر العدوان وهذا المعنى مستنبط عن الآية القرآنية التى تعبر عن الحياة الأبدية للشهداء والذين يضحون بأنفسهم

وأموالهم فى سبيل الأرض والوطن ونتيجة الالتزام بهذا المنهج فى الظروف الراهنة عند بشرى البستانى هى الخروج من الحصار واستمرارية الحياة المتمثلة فى النهر وهبوط قبور الشهداء عندها وينثال عليها الطل الأخضر و«الدال اللونى المتمثل فى لون الأخضر يؤكد الحالة الإيجابية والحياة الجديدة بفعل الشهادة والفداء والأخضر هو لون الحياة ويرتبط بدلالات الحياة والإحياء وهى نقيض لفعل الموت والضياع» (ربابعة، ٢٠١٩م: ١١١) والاستخدام الواعى لهذا اللون محاولة شعرية من الشاعرة للتأكيد على حتمية الحالة الإيجابية والخروج من المأساة الراهنة. والحياة الجديدة عندها تأتى من الشهادة والفداء وتقول فى مشهد شعرى "نهبت قبورهم فى غبش الفجر" والمفارقة اللفظية بين الغبش وبين الفجر تعبير شعرى عن الانتقالية من السواد الحاضر إلى النور والوهج والإضاءة وما يعيد النور إلى الأرض فى وعى بشرى البستانى.

تعتمد الشاعرة على القرآن الكريم فى تأكيد الدال المحورى وهو حتمية الخروج من المأساة الراهنة ودحر العدوان الأمريكى وإعادة الأمل إلى الشعب والوطن وهذه الإشارة هى قميص يوسف حين أرسله إلى أبيه وأمر أن يلقى إخوته القميص على وجه يعقوب ليصبح بصيراً والشاعرة أشارت إلى حتمية تجاوز الواقع السلبى باستخدام القميص عندما قالت: قَمِيصُ حَبِيبِى فِى أعلى الدَّبَابَةِ/حَبِيبِى يرَكُضُ خَلفَ رُواقٍ أخضَرَ/ خَلفَ شِتاءٍ صَهوَته الحُبُّ/وَصَبوَتُه الطَّيرُ الوَاكِنُ فِى العُشِّ. (البستانى، ٢٠١٤م: ١١٧) والقميص هنا هو قميص يوسف وإذا كان القميص فى بداية القصة سبباً فى الحزن والأسى للنبى يعقوب لكنه سبّب الفرح فى ختام القصة. استخدمت الشاعرة هذه القصة بصورة إيحائية ولمحت إليها بذكر قميص الحبيب فى أعلى الدبابة وهو يركض خلف الرواق الأخضر. وحضور القميص فوق الدبابة الأمريكية تصوير شعرى لحالة الصراع بين الأرض وبين المحتل ونتيجة هذا الصراع هو دحر العدوان الأمريكى والخروج من المأساة وإعادة الحياة إلى الأرض بالالتزام الواعى لثقافة.

وثمة دال محورى آخر فى هذه القصيدة وهو تصوير الضعف ووهن الاحتلال الأمريكى وتشير الشاعرة وترسم هذا الدال المحورى فى مقاطع القصيدة باستخدام رمز الطحلب وصفاً للسلطة الأمريكية حيث تحاول به الشاعرة التأكيد على هذا الضعف بوصفه الدال

المحورى فى هذه القصيدة وتقع بشرى البستانى بين موقف شعرى وآخر ترسم هذا الدال المحورى فى محاولة لترسيخ الأمل والمقاومة لدي المناضلين.

الدوال العائمة المتحركة

يرى لاكلا وموف أن الدال المتحرك هو الدال الذى لايتمتع بالسكونية الدلالية ولا يقـع عليها وبعبارة أخرى هذا الدال له مداليل متعددة مختلفة الهويات وهى فى تنافس وجدال مسـتمر لاسقاط المدلول المطلوب عليه فى الخطاب (يوسف آبادى، ١٣٩٥ش: ٦) وبحسـب لاكلا وموف وما جاء فى كتاباتهما النقدية حول الدوال المتحركة المتنقلة أن الخطاب فى اسـتثمار الدوال العائمة يحـاول إبراز المعنى والمفهوم الملاءم مع منطق الدوال العائمة وتهميش الدوال الأخرى. (كسرايى، ١٣٨٨ش: ٦)

فى هذا الخطاب الشـعرى تظهر التمظهرات والتسـطعات المختلفة للدوال المتحركة وهى تتمفصل حول الدوال المحورية فى الخطاب الشعرى وإذا كان فضاء الموت والخراب والدمار والحالة المأساوية للعراق بعد الاحتلال هو من الدوال المحورية فى هذا الخطاب الشعرى، فتستخدم الشـاعرة مجموعة من الرموز المعرفية والرموز الإيحائية للتعبير عن وضع العراق المأسـاوى وفى الحقيقية حضور الدوال المتحركة داخل الخطاب الشعرى للقصيدة يكشف أن الدوال المتحركة فى حضورها داخل الخطاب الشعرى تحمل وظيفة وهى دعم الدوال المركزية المحورية والكشف والإبانة عن حقيقيتها وذلك عندما تقول:

تَبكِـى دِجلَةُ فِى قَلبِ اللَيـلِ/ زَفِيرُ الثُعبانِ يُرِيقُ النَّارَ/ عَلى أعمِدَةِ الكَونِ/ سَـرِيرُ العَنقَـاءِ/ مَحمُولٌ بِيَدِ الزَّوبَعَة الصَفراءِ/ وَقلبُ الليلِ يَنزِفُ أندَلُسَـاً أخرى. (البسـتانى، ٢٠١٤م: ١١٠) الدال المحورى هنا تصوير محنة العراق ومعاناته وسط الحصار والاحتلال الأمريكى وتقوم الشاعرة فى الاسـتظهار الشعرى للوضع المأساوى للعراق باستخدام الرمـوز والصور الفنية فى غاية الإبداع والإيحاء تتمفصل حول الدال المركزى. ودجلة تبكـى فى الليل وسـكونه على ما آلت إليـه الأرض العراقية والحضـارة العريقة من الضياع والخراب والدمار والسـلبية المحدقة بالأرض نتيجة فعل الاستلاب والارهاب والثعبـان أعـداء الأرض وإراقة النار على أعمدة الكون تجسـيد شـعرى عن الوضع

المأساوى للعراق وحضور السمار على شواطىء دجلة تعبير عن الحالة الإيجابية للعراق وانفضاض السمار عنها تعبير شعرى عن خروج العراق من دائرة الإيجاب والفاعلية إلى السكونية وزعزعة الأمن والاستقرار، نتيجة الإرهاب.

ومن الدوال المحورية فى هذا الخطاب الشعرى تكريس المقاومة وبثّ اليقينية بالخروج من المأساة الحالية ونلحظ فى هذا الخطاب الشعرى مجموعة من الدوال الأخرى تتمفصل حول هذا الدال المركزى الدوال المختلفة ترسم اللحظة الإيجابية التى تختلف مع الوضع السلبى الراهن ومن المفاهيم الرئيسة التى ترتكز عليها الشاعرة لبثّ اليقينية بالخروج من المحنة الحالية، هى تجربة الحب الأصيل للأرض وللوطن والحب يمثل مدرسة وأسلوب حياة يكفل الإنقاذ والخروج من الحصار الأمريكى المطبق على الأرض.

تقول فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق: تُدَاهِمنِى عَينَاكِ/ بَرِيقٌ أخضَرُ يَغزُونِى فِى عِزِّ اللَّيلِ/ أفتَحُ بَابِى/ يَدخُلُ عِطرُكَ/ يَكبُرُ/ يَنشُرُ أجنِحَةَ التُّفَاحِ/ تَهوِى الأَلوَاحُ عَلَى مَائِدَةٍ ظَمأى/ يَشتَعِلُ الوَردُ بِرمَلِ الحُزنِ/ وَأردَانُ النَّخلِ/ ويَغَادِرُنى المحتَلُ ... (المصدر نفسه: ١١٦)

يؤكّدُ هذا المقطع علي تجربة الحب وتمفصلها حول الدال المحورى لبثّ اليقين بالانتقالية وتجاوز الراهن السلبى. فى هذا المقطع، مجىء الأفعال (تداهمنى/يغزونى) بصيغة المضارع الدال على الاستمرار بما حمله الفعلان من المعانى الدالة على السرعة والمفاجأة والجلبة أوحى بقيام صراع محتدم بين الموت والحياة وينتهى الصراع بتوهج الحياة ابتداءً من الفعل المضارع (أفتح) وما توالى بعده من الأفعال المضارعة فى التعبير عن الثورة وخروج المحتل الأجنبى وكلّ ذلک يحدث مع دخول البريق الأخضر وعطر الحبيب، حيث يتحول اليأس إلى أمل بخروج المحتل وعودة النخيل إلى الحالة السابقة المنشودة. (غانم، ٢٠١٥م: ٦٣)

دخول العطر ومداهمة عينى الحبيبة والبريق الأخضر فى غرفة الشاعرة تعبير عن تجربة الحب الأصيل للأرض وكأن الشاعرة بتصوير الحب وتجسيد لحظة الخلاص وخروج المحتل تزرع اليقين بأن سرَّ الخلاص والإنقاذ للأرض فى حضور الحب؛ وثمة وسيلة للشاعرة تعتمد عليها بوصفها الدال المتحرک يتمفصل حول الدال المحورى وهى

تجسـيد عملية الأخذ والعطاء بين الأرض وبين الإنسـان العربى المقاوم. تصبو بشـرى البسـتانى إلى هذه الوسيلة الإيجابية فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق وتعتبرها من الرموز الأساسية التى تكفل الخروج من الحالة المأساوية الراهنة.

دَبَابَـاتُ الغَزوِ تَدُورُ/ يُحاصِرُهـا الغَيمُ/ وتُربكُها الرِّيحُ/ غُبَـارُ الصَحرَاءِ المجروحِ يُعاوِدُ ذبحِى/ كَفَنِى ثَوبُ الجَبَلِ الفِضِى/ حَفِيفُ الصَفصَافِ/ سَدرِى/ تَنشَقُ الأرضُ عَنِ الشَّـارَةِ/ وَأعطِيهَا قَمَرِى/ يَتَلألأ فَوقَ غَلائِلَ عُمـرِى..../ دَمُكَ الياَقُوتِى/ أكُفُكَ كَانَت وَسطَ هَدِيرِ الدَّبَابَاتِ/ تُلَامِسُ خِصرِى (البستانى، ٢٠١٤م: ١١٦– ١١٧)

الصراع بين المحتل الأجنبى الذى ينادى بديمقراطية القتل والذبح والدمار والخراب ودبابـات الغزو التى تدور فى العـراق الحضارية وتقاومها الريـح والغيم بوصفها من عوامـل الثورة والخروج «بينما غبـار الصحراء المجروح يعاود ذبح الشـاعرة ويرمم معاناتها والأرض تنشـق لتنهض شارة الأمل لتتفتح عن وهج الزنبق وتتبادل الشاعرة مع الأرض عملية الأخذ والعطاء ليتلألأ دم ياقوتى ملىء بالأمل عبر سطرين يتوهجان وسط عوامل السلب والاستلاب» (غانم، ٢٠١٤م:٤٠) ودبابات العدوان التى من شأنها خراب الأرض والحضارة العريقة وجرّها إلى الضياع والخراب. فى النهاية نشـير إلى الدوال المحورية والعائمة والمتحركة بصورة موجزة وفق ما جاء فى نص المقال:

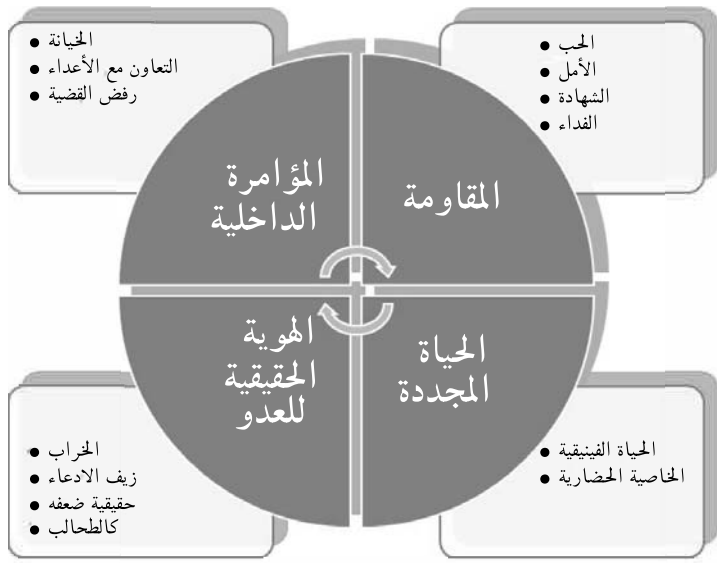

فى الحقيقة يظهر هذا الرسم المستويات الدلالية القائمة فى القصيدة وكشف لنا عن مدي أهمية الدوال الموجودة فيها والعلاقات الدلالية التى توجد بينها، وأكسبت القصيدة ثراء لغويا ودلاليا كبيرا حيث يستطيع القارئ من خلالها الوصول إلى الغاية المنشودة من القصيدة، كما تقوى بنية النص وتنمى أفكاره ورؤاه إلى دلالات أخري وفضاءات أوسع. بعبارة أخرى إنّ حضور عدّة الدوال المحورية والمركزية فى القصيدة وهى المقاومة والمؤامرة الداخلية والحياة المجددة والهوية الحقيقية للعدو يؤدّى إلى تواجد الدوال الأخرى باعتبارها الدوال العائمة والمتحركة التى تدور حول الدوال المركزية تفسّرها وتوضّحها. مثلا بالنسبة للدال المحورى الأول توجد دوال الحب، والأمل والشهادة، والفداء والتى تدلّ كلّها على مقاومة الشعب العراقى أمام الظلم والاستبداد الداخلى أو الأجنبية.

وأمّا النقطة الأخرى التى تجدر الإشارة إليها بأنّ هذا الرسم يبيّن لنا أنّ كلّ الدوال ترتبط معا ارتباطا وثيقا حيث إنّ المقاومة لا تتشكّل إلا بعد المؤامرات فى البلد وهذه المؤمرات أيضا تعقب الهوية الحقيقية للعدو لأنّها تؤدى إلى الخراب والدمار.كما ترتبط هذه كلها بالحياة المجددة عندما كشف الستار عن هوية العدو.

العلاقات بين الدوال فى الخطاب الشعرى

الاعتقاد العام فى التحليل النقدى للخطاب هى أن الرموز والدوال تحكمها العلاقات والقواسم الدلالية المشتركة وثمة علاقة وثيقة بين الدوال فى الخطاب. يرى لاكلا وموف أن الدال الواحد يحمل الدلالات المختلفة وفى ضوء هذه الحقيقية يمكن القول إنه ليست علاقة منطقية وطبيعية بين الدال ومدلوله (يوسف آبادى، ١٣٩٥ش: ٨٤) وهذا الاختلاف ينبع عادة عن المداليل المختلفة التى يحملها الدال الواحد. على هذا الأساس ينبغى علي الباحث فى تحليل الخطاب أن يفهم السياق جيداً وتكون له السلطة على اللغة والرموز والسياق والحركية فى الدلالات بالنسبة للرموز والدوال؛ لابد من هذه البراعة فى تحليل الخطاب وخاصة فى تحليل الخطاب الشعرى المعاصر. فالشعر المعاصر يطفح بالرموز والدوال المختلفة ونقادنا المعاصرون يرفضون بالكامل الثوابت والسكونية

بالنسبة للدوال والرموز وفى الحقيقية الرمز الواحد فى خطابنا الشعرى حسب سياقاته والأرضية النصية التى يستخدم فيها يحمل الدلالات المختلفة ومن الواجب السلطة على السياق وعلى اللغة والرموز داخل الخطاب لفهم الخطاب وبلوغ النزاهة التحليلية فى خوض التحليل النقدى للخطاب. بشرى البستانى لها الريادة فى معرفة الشعر المعاصر والنصوص والشعرية الحقيقية وهى التى مزجت بين الشعر والعمل النقدى وتعى المعنى الحقيقى للسلطة المرتبطة بالقارىء الواعى. فيما يرتبط بحضور الدوال الشعرى فى قصيدة بشرى البستانى يمكن القول إننا نجد المشاهد العديدة من صور الرموز الشعرية التى لا تقع فى سكونية الدلالة والمفهوم بل حسب السياقات الجديدة التى يقع فيها الدال يحمل المداليل التعددة. تقول الشاعرة فى قصيدتها: يَخجَلُ وَردُ اللَيلِ/ تَبكِى دِجلَةُ فِى قَلبِ اليلِ/ قَلبُ اللَيلِ يَنزِفُ أندَلُسَاً آخَرَ/ تَبكِى/ الشُرَفَاتِ/ قُبُورُ بَنِى العَبَاسِ/ أتعَبَهَا زَحفُ العَرَبَاتِ عَلى قَلبِ الأرضِ/ الآباء يُخفونَ الطَّلَقَاتِ بِصَدرِ العَذرَاوَاتِ/ ضَفَائِرهُنُ عَلَى الرَّملِ/ يُخضِبِه الدَّم/ وَجَعٌ فِى أعيِنهنَّ عرَاقى. (البستانى، ٢٠١٤م: ١١٣)

يعدُّ الليل من الدوال الأصلية فى قصيدة بشرى البستانى وليست لمدلولات هذا الدال سكونية وثبوت بل هذا الدال يحمل الدلالات المختلفة وينتفى وجود العلاقة المنطقية بين هذا الدال والمدلول والدلالات. الليل من الرموز التى تحمل الدلالات السلبية وهى الخراب والضياع، والسكون والورد تعبير شعرى عن مرحلة من الحياة تتصف بالزهور والسرور والحياة وورد الليل «يعدُّ استعارة تنافرية فى إطار المفارقة اللفظية تجسّد ضياع العراق وانتقاله من الزهو والنور والتفتح إلى الليل» (ملاابراهيمى، ٢٠١٩م: ١٤٤) وهو السواد والقتامة والخراب والليل. وهو ينزف أندلساً أخرى هو معادل للسلطة الأمريكية فى غزوها للعراق ولفظة القلب فى مشهد شعرى آخر لهذه القصيدة إشارة إلى حجم المأساة وتضخيم للوضع المأساوى تحت البطش السلطوى والممارسات العدوانية فهذه اللفظة تخرج عن دائرة هذه الدلالة فى مشهد شعرى يردف المشهد السابق وهو قلب الأرض وزحف الدبابات عليها وقلب الأرض تعبير عن العراق وحضارته العريقة بحيث تعتبره الشاعرة بؤرة الحضارة وقلب الأرض إشارة إلى تاريخه المجيد ولا يخفى المغزى الإيدئولوجى المنهج لهذه اللفظة فى هذا المشهد

الشعرى. إذن الدال الواحد فى هذا الخطاب الشعرى يحمل دلالات مختلفة وفق السياق وفــى ضــوء ما جاء فى كتابــات لاكلا وموف نصل إلى حقيقية بلغــت حد القناعة فى التحليل النقدى للخطاب وهى أن العلاقة الأساسية المنطقية بين الدال والمدلول الواحد أمر مرفوض بالكامل.

التضخيم والتهميش

فــى النضال الخطابى وحــين يدخل خطاب ما فى جدال مســتمر مع خطاب آخر يظهــر التضخيم والتهميش كعمــل خطابى عبر التمظهرات المختلفــة ولهذين المفهومين ارتبــاط وثيق بمفهوم التضــاد والغيرية. يرى لاكلا وموف أن الخطاب يســعى لتضخيم الــدال المحورى له وتهميش الدال المحورى فــى خطاب الآخر. (Laclau & Mouffe, 1985: 88) التهميش والتضخيم فى مســتوى الدوال المحورية فى الخطاب منهج وأداة للحفاظ على الســلطة واســتمرارية الهيمنة فى الخطاب وفى الخطاب الشعرى وسيلة الشــاعر المعاصر لصيانــة كينونة الأرض واســتمرارها وفى ضوء هــذه الحقيقة تقوم شــاعرتنا بشرى البستانى بالتضخيم والتهميش فى مســتوى الهويات عبر المقارنة بين الأنــا العراقى والآخر الأمريكى برؤية حضارية وتســتخدم الرموز والدوال المختلفة لمقارنة الطرفين كما نلحظ فى هذه الصورة:

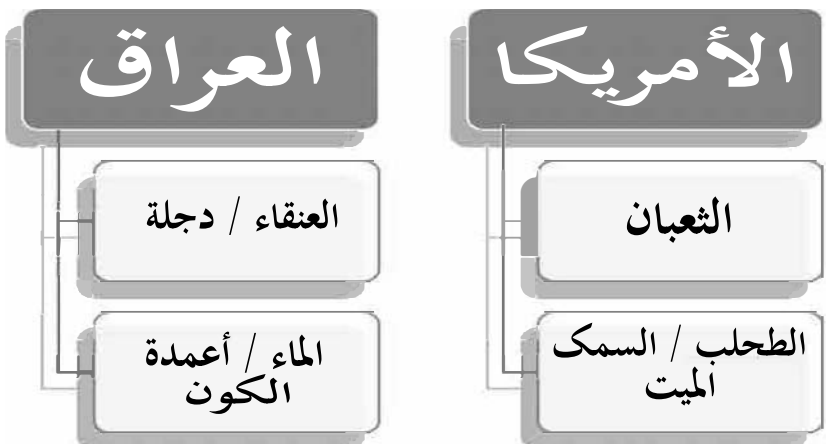

وهذا ما يظهر فى كل مقاطع قصيدة بشــرى البســتانى: السَمَکُ المِيتُ يَعلُو ضَفَّتَها/

الطُّحلُبُ كَـدَّرَ صَفوَ الماءِ.../ تَبكِي دِجلَةٌ فى قَلبِ الليلِ/زَفيرُ الثُعبَانِ يُريقُ النّارَ/ عَلى أعمِدةَ الكَونِ/سَريرُ العَنقاءِ/مَحمُولٌ بِيَدِ الزَّوبَعةِ الصَّفراءِ وَقَلبُ الليلِ (البستانى، ٢٠١٤م: ١١٠)

ما يتضخم فى هذا المشـهد الشـعرى هو الحياة الجديدة التى تأتى خطابها مقابل خطاب الموت. العراق عند الشاعرة مفعم بالحياة والسلطة الأمريكية لا تقدر على إماتة العراق وتضييع حضارته والعراق رغم السـلب والقهر والغزو الوحشـى لكنه يبعث من الجديد والشاعرة تعبّر عن هذه الحقيقة باستخدام سرير العنقاء وهو محمول بيد الزوبعة الصفراء. العنقاء هى الطائر الأسطورى الذى يخرج من بين الرماد والشاعرة باستخدام هذه الأسـطورة تعبر عن حقيقية العراق بأنه ينهض وتسـتمر فيه الحياة رغم الارهاب ووحشية الاحتلال الأمريكى.

إلى جانب هذا المفهوم تصور وتضخم الشـاعرة حقيقية الاحتلال الأمريكى مؤكدةً علـي زواله وانتهاء الحصار. تسـتخدم رمز الطحلب فى مقارنتهـا للدلالة على ضعف السـلطة وخلقت المماثلة بينهمـا. الطحلب من الرموز الطبيعية فـى هذه القصيدة وهو مـن رموز الضعف الحضارى والحقيقية أن السـلطة الأمريكية لا تملك خلفية حضارية ولا تقارن مع العراق الحضارية ولا تقاس به وهذا ما تضخمه الشـاعرة كما تشير إلى حتميـة زوال الاحتلال بالدال اللونى الاصفر وهو لون يبشّـر بالموت والضياع بوصفه لون الموت.

تقول بشـري فـى مقطع آخر: تطلعُ من عينٍ غـزالٍ/ تَطلَعُ زَنبَقَةُ تُطفِئُها الشَّـمسُ/ غبار الطلقاتِ الخلبُ يُوجعُ قلبَ الأرض/ يتكىء الزيتونُ على وردِ الشـيحِ/ ويبكى/ دباباتُ الحقدِ تَدورُ/ غرناطةُ تعدو فى قُمصانِ الليلِ (المصدر نفسـه: ١١١) فعل الطلوع يعـبر عن حقيقية الحضـارة الأمريكية ولفظة الخلب تعبير شـعرى واعى عند الضعف الحضارى لأمريكا والمشـهد الشـعرى الذى يحتوى على صورة الصراع الخطابى وفى مسـتوى المقارنـة بين الهويات، يؤكد علـى الفراغ الهوياتى لأمريـكا التى تعانى من الضعف الحضارى ولن تقدر على إيقاف عجلة الحياة فى العراق.

التقويض

فــى نظريــة لاكلا وموف يأتى التقويــض والهدم داخل مفهــوم الهيمنة والهدف من التقويــض إزالة ما هو راســخ وثابــت فى خطاب الآخر ويــرى لاكلا وموف أن فعل التقويض من شأنه إزالة السلطة فى خطاب الآخر وخروجه عن إطار الخطاب الجدالى (كســرايى، ١٣٨٨ش: ٣٥١) والتقويض فى خطاب الأنا يؤدى عادة إلى خروج الدال المحورى من مركزيته إلى الدال المحورى وما هو ثابت ويكون الدال المحورى فى خطاب الاحتلال هو أن الولايات المتحدة تبرر حضورها فى العراق وباقى الدول العربية بأنها تحمل الديمقراطية والحرية للدول وللشــرق الأوسط وبشرى البستانى فى هذا الخطاب الشــعرى تحاول تقويض هذه المزاعم الجوفاء: تَطلَعُ زَنبَقَةٌ تُطفِئُها الشَّــمسُ (البستانى، ٢٠١٤م: ١١٠) وإطفاء الزنبقة محاولة من الشاعرة لتقويض الإدعاء الفارغ فى خطاب الاحتــلال لأنهــا لا تعطى ولا تمنح الحرية والديمقراطية للشــعوب بــل تحملها الخراب والدمار.

قوة الاستقبال فى مستوى الخطاب

قوة الاستقبال ونجاح تلقى الخطاب من قبل المتلقى يعود إلى براعة المرسل وإتقانه للغة والحقائق النصية. الخطاب يفرض ســلطته على المتلقى بنضج لغته الشعرية والتمتع بالجودة البالغة فى التعبير. فى هذا الخطاب الشــعرى لبشــرى البستانى يتــبدى نجاح التلقى من اللغة الشعرية الإيحائية ومن الصور الشعرية التى تتمتع بالحركية وقوة التعبير والطاقات الدلالية الغزيرة، من جهة ومن جهة أخرى يعود نجاح التلقى فى هذا الخطاب الشــعرى إلى الحضور الطاغى للتراث فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق. فالشاعرة فــى هذه القصيدة تركز على التراث بروافده المختلفة انطلقاً من وعيها الشــديد بالدور الوظيفى للتراث فى عملية الإيصال. تســتثمر بشــرى البستانى التراث وتشحن النص الشعرى بالطاقات الإيحائية والدلالية الثرة من العنوان حتى المقطع الأخير من القصيدة ونجاح الخطاب الشعرى فى جزء كبير منه يعود إلى المزج بين الحاضر السلبى والماضى؛ تقول: تدلّى مِن ثَقب الشــمسِ حِصانٌ ميّت../ صَهوتُه سَدَّت وَجه الشَرقِ/ كَانَت ومضَة

عَينيک تَدعونی/ للعشاء الأخير. (المصدر نفسه: ١٠٨)

تستحضر بشرى البســتانی رمز العشاء الأخير وهذا الرمز التراثی يرسم صورة ما حدث للمسيح عليه السلام فی الليلة الأخيرة ويستحضر فعل صلب المسيح وهذا الرمز التراثی يخد الدال المحوری ويؤكد الحياة المتجددة وضرورتها فی العراق وعودتها حتماً رغم كل الدمار والمصائب التی سببتها الاحتلال.

سلسلة التكافؤ الخطابی

سلســلة التكافؤ الخطابی تشــير إلی التماثل فی مستوی الدوال فی الخطاب بحيث الخطاب المتصارع يعمل علی تقليص المفارقات بين العناصر والوحدات الدلالية ويخلق نوعاً من الاشتراک الدلالی بينها ويأتی هذا فی إطار الغيرية والضدية فی نظرية لاكلا وموف. سلسلة التكافؤ الخطابی تتحقق عبر عملية التمفصل بحيث يقوم الخطاب بالمزج بين الإشارات الخطابية الرئيسة ويتحقق التجمع الدلالی مقابل الخطاب الآخر. (يوسف آبادی، ١٣٩٥ش: ٨٨) نلاحظ تحقيق سلســلة التكافؤ الخطابی فی القصيدة باستخدام الرموز والإشــارات الدلالية التی بينها قاسم مشترک أو تنتمی إلی حقل دلالی واحد. تقول الشاعرة فی المقطع الأول: أَجثُو عند خزائن بغداد وآشور/ أمسکُ قَلبی مِن وجعِ التُفاحِ/ عَناقيدُ النخلِ علی الأَعوادِ/ الكابوسُ يُعاودنی/ أَشهقُ فی قاعِ الجُبِّ/ وأبحثُ عن سـيارةٍ أهلی/ أَسألُ غصنين ينامانِ علی صَدری/ عن سرِّ الجبلِ الصامتِ فی قلبِ الصحراء/ أرقی درجاتِ الوجد. (البستانی، ٢٠١٤م: ١٠٣)

وهناک تماثل بين الوحدات الدلالية وبين الرموز الشــعرية وتتحقق سلسلة التكافؤ الخطابی بانتماء الرموز والإشارات إلی حقل الطبيعة وحقل التراث المتمثل فی التراث الدينی. النخل رمز من رموز العراق وحضور عناقيد النخل علی الأعواد تعبير عن فعل القتل والشــنق الذی يمارس الاحتلال ضد الشــعب، والجبل الصامت أيضا من الرموز الطبيعية والصحراء أيضاً تنتمی إلی هذا الحقل وهی تعبير عن عراقة الحضارة العراقية، والغصنان هما الحلمان الجميلان للشــاعرة وللعراق حلم الحرية والســلام ينامان علی صدرها، كما تتحقق فی هذا المقطع سلسلة التكافؤ الخطابی بالانتماء الدلالی إلی الحقل

الواحد بين الرموز والإشـارات. إنّ الجب من الرمـوز الأثيرة فى تراثنا الدينى وهذا الرمز يعيدنا إلى قصة النبى يوسف (ع) واستخدام هذا الرمز للعراق الحاضر تعبير عن ظروفه المأسـاوية وبكاء الشـاعرة فى قاع الجب بكاء على الوطن وعلي ضياع معالمه الحضارية فى ظل الاحتلال الغاشـم. والسـيارة أيضا من الرموز التى تنتمى إلى قصة يوسـف وحقل التراث الدينى. السيارة أنقذت يوسف من الجب والشاعرة فى الظروف الراهنـة تبحث عن طريق لنجاة العراق وإنقاذه مـن براثن الاحتلال الذى قام بتدمير العراق وحضارته العريقة.

ونراها تقول فى مقطع آخـر: دَبَابَاتُ الغَزوِ تَدورُ/ يُحاصِرهَا الغَيمُ/ تُربِكُهَا الرّيحُ/ غُبَـارُ الصَحرَاء المَ جرُوحِ يُعَاوِدُ ذِبحِى/كَفَنِى ثَوبُ الجَبَـلِ الفِضِى/ حَفِيفُ الصَفصَافِ/ تَنشَـقُ الأرضُ عَنِ الشَّـارَةِ/ تُعطِينِى وَهَجُ الزَّنبقِ فِى عِزِ الظَهرِ/ أعطِيهَا قَمَرِى/ أكُفُكُ وَسـطَ هَدِيرِ الدَّبَابَاتِ تُلامِسُ خِصرِى (المصدر نفسـه: ١١٧) تصور الشـاعرة فى هذا المشهد إرهاصات الثورة والخلاص من خلال استخدام الرموز الطبيعية والصور الشعرية التى بينهما التماثلية التى تحقق سلسلة التكافؤ الخطابى. كما يوجد الانتماء الدلالى بين الرموز الشعرية وما يحقق سلسلة التكافؤ الخطابى هو الاشتراكية بين رمز الغيم والريح ورموز النخل والصفصاف فى هذا المقطع الشعرى.

الهيمنة والسلطة

الهيمنة فى الصراع الخطابى تعبير عن السـيطرة والسـلطة والشـيوعيون هم الذين طرحوا هذا المفهوم لأول مرة والهيمنة فى الفكر الماركسـى تحدث فى المستوى المادى والمعنـوى والشـرائح الاجتماعية الضعيفة التـى تبقي تحت الهيمنة والسـلطة بصورة مسـتدامة. احتلت الهيمنة والسـلطة مكانـة فائقة ومهمة فى نظريـة لاكلا وموف لأن الهيمنـة فى الخطـاب والعلاقة بين الدال والمدلول تتوطد وتتـم التوثيق بينهما بالهيمنة والسـلطة. (Laclau & Mouffe, 1985: 28) الهيمنـة فى فكـر الباحثين فى التحليل النقدى للخطاب هى الوسيلة لإنتاج المعنى والمفهوم أو نوع من البناء ومحاولة للتقويض والتفكيك فى مسـتوى السلطة الخارجية. فاعلية الهيمنة تأتى من دورها الذى تضطلع

به فى ترسيخ السلطة فى الخطاب أو من دورها فى إزالة السلطة والإزالة بشرعيتها فى أذهان الناس والجماهير. حين غزت الولايات المتحدة العراق فى سنة ٢٠٠٣م بررت حضورها العسكرى تحت غطاء بعض المزاعم الجوفاء التى لا أساس لها من الصحة وهدفها من الغزو نهب ثروات العراق الهائلة وتدمير معالمه الحضارية بذريعة الديمقراطية. تأتى الهيمنة والسلطة فى الصراع الخطابى بين ما تنادى به السلطة الأمريكية والخطاب الشعرى بالوقوف فى موقف محدد من الجانبين؛ فأمريكا تحاول تبرير شرعية حضورها والخطاب الشعرى يواجه هذا الحضور السلبى ويحاول إزالة الاحتلال وتأسيس الوعى بالحضور اللاشرعى للسلطة الأمريكية فى العراق.

تحاول الشاعرة فى مواجهتا للاحتلال فضح الاحتلال الأمريكى. تقول فى هذه القصيدة: فَوقَ الدَبَابَةِ خَاتمُ أُنثَى/ يَلمَعُ فِى وَهَجِ الشَّمسِ/ يَرقَى عَبرَ سَلالِم تَعزِفُ حُزنَ القُدسِ/ مِرداة الحزنِ / يَثقَبُ عِطرَ اللَّيلِ هَدِيرُ الدَّبَابَاتِ/ وهَمهَمَةُ الجُندِ/ المُوصِلُ تُوجِعُهَا ثَرثَرةُ الدَّبَابَاتِ (البستانى، ٢٠١٤م: ١٢٩) وتجسد الشاعرة معاناة المرأة. خاتمها فوق الدبابة وهو يلمع وفى الحقيقية تعبر الشاعرة من جهة عن حتمية الخلاص والوصول إلى الانقاذ من خلال استخدام المرأة فى بعدها الأسطورى بحيث تحمل دلالات الخصب والاحياء (طاهرى نيا، ٢٠١٤م: ٩٨-٩٩)، والشاعرة باستخدام المرأة ولوازمها فى القصيدة تقودنا إلى حتمية الخلاص وخروج المحتل ومن جهة أخرى تفضح الاحتلال وتكشف حقيقته وهويته وغاياته من خلال معاناة المرأة تحت السلطة الأمريكية ومن خلال تجسيد المفارقة بين المزاعم وبين افعال الاحتلال وتقول فى مقطع آخر: باسم الحُريَّةِ تَهوِى الأبرَاجِ/ التِمثَالُ يُغَادِرُ شَطَ العَرَبِ/ كَيفَ يَصِيرُ عَراقُ الأبنُوسِ/ خَرَائطَ فِى كَفِّ تَطوِيهِ وتَنشُرُه (البستانى، ٢٠١٤م: ١٢٨) تحاول الشاعرة من خلال فضح المحتل، تقويض هيمنته وسلطته بتجسيد سقوط الأبراج فى شط العرب باسم الحرية وفيما يرتبط بهيمنة الخطاب وعلاقته بالمتلقى. فتوجد الهيمنة التامة للخطاب الشعرى والسلطة لهذا الخطاب الشعرى مرهون لوجود اللغة الشعرية الممتازة الثرة والشحن الدلالى والرصيد الأيديولوجى القوى فى مواجهة الخطاب الأمريكى. فالخطاب الشعرى فى وظيفته التوجيهية يناشد بالقوة والحرية فى مواجهة الاحتلال

الأمريكى. تقود بشرى البستانى المتلقى والجماهير والذين توجه إليهم الرسالة الشعرية إلى التاريخ الخصب المليء بمشاهد البطولة والرجولة والقوة للدعوة إلى بناء الهيمنة فى مواجهة المحتل بعد التقويض الكامل لهيمنته الفارغة.

الصراع فى الخطاب

الصـــراع من المفاهيم الأساســية المطروحة فى نظرية لاكلا ومــوف. يأتى الصراع والضدية فى العمل الخطابى مع القوى المتصارعة فى الاتجاهيين؛ الاتجاه الأول الخطاب المناهض للســلطة الخارجية والاتجاه آخر يتمثل فى الصــراع بين الخطاب وبين القوة المكثفة الداخلية. يظهر فى قصيدة بشــرى البســتانى الصراع فى الجبهتين وفى الحقيقة يدخل الخطاب الشــعرى ساحة الصراع مع السلطة الخارجية والأمريكية تحديداً وفى جبهة أخرى يدخل فى الصراع مع الســلطة الداخلية المتمثلة فى الحكام العرب الذين صدرت عنهم الخيانة والمؤامرة دون اكتراث بالعراق والقضية الفلســطينية. تقول بشرى البســتانى: جُرحِى تَلفَحُهُ الشَّمسُ العَرَبِيةِ/ يَنخَرُهُ الدُّودِ/ بِيكَاسُو يَرسَمُ جِرنِيكا أخرى. (المصدر نفســه:١٢١) الشــمس العربية فى هذا المقطع تعبير عن موقف الحكام العرب والــدول العربية مــن معاناة العراق تحت الاحتلال وســلوك الحــكام العرب فى ظل الظروف المأســاوية للعراق بمثابة السكين المســموم فى جسد العراق بحيث صار يثقب جرح العراق ومعاناة شــعبه ونتيجة هذه الإجراءات المخزية من قبلهم فتدخل الشاعرة إلى جانب محاولتها لفضح الاحتلال فى صراع مع الحكام العرب الذين باتوا المنخذلين، ومكتوفى الأيدى ولا يرون حجم المعاناة مما يزيد من آلام الشعب العراقى.

النتيجة

تؤكد بشــرى البستانى فى خطابها الشــعرى على ضرورة المواجهة والمقاومة لبناء العراق من جديد وإعادة دورة الحياة إلى العراق بعد أن نهبها الأعداء وهذا بمثابة الدال المحورى فى قصيدة أندلســيات لجروح العراق والدال المحورى الآخر فى هذه القصيدة يكمن فى اســتخدام الصور الشعرية الموحية التى ترســم حالة الأمل وحتمية الخروج من الحصار والضياع.

تسعى بشرى البستانى فى قصيدتها لتهميش وانكماش الهوية الحقيقية الجوفاء للولايات المتحدة وتقويضها وفضح حقيقة الاحتلال، فالخطاب الأمريكى يحاول خداع شعوب العالم ويحاول فرض الهيمنة والسلطة على شعوب العالم بشعار الحرية والديمقراطية.

وكما تحاول الشاعرة لتضخيم الهوية العراقية والإمكانية التجديدية التى تتمتع بها الحضارة العراقية كما تنهض العنقاء من رمادها. وتدور الدوال المختلفة المتحركة فى هذه القصيدة التى تخدم الدال المحورى حول المقاومة والشهادة أو التأكيد على الضعف الحضارى لأمريكا. تستخدم الشاعرة لبناء هذه المفاهيم الاستراتيجيات اللغوية المختلفة لتثبيت إيدئولوجياتها وإرساء المفارقة. وتستخدم الألوان وتعتمد على التراث باعتبارها الركائز اللغوية والفنية فى قصيدة أندلسيات لجروح العراق.

ويحدث الصراع بالمواجهة بين الخطاب الشعرى وبين خطاب الاحتلال الذى لا يمتلك شرعية لغصب الارض وتدميرها من جهة ومن جهة أخري يتضمن شعرها صراعاً مع خطاب الساسة والحكام العرب الذين لا ترى الشاعرة منهم سوى شعارات فارغة.

قوة استيعاب هذا الخطاب الشعرى يعود فى قسم كبير منه إلى اللغة القوية المفعمة بالشعور والإحساس وإتقان الشاعرة للغة كما تأتى من استخدام التراث والمشهد التاريخى لإثبات المعنى والتأكيد عليه ومن ثم استقبال الخطاب وقدرته.

المصادر والمراجع

اصلانى، سردار ومحسن غلامحسين كهورى. (١٣٩٥ش). «مظاهر أدب المقاومة فى شعر بشرى البستانى». لسان مبين. السنة ٧، العدد٣، صص٢٢-١

بدرى، فرحان. (٢٠١٨م). «اللسانيات وتحليل الخطاب فى النقد الأدبى (التواصل والنفتاح الذات)». مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية. المجلد ٨، العدد٣، صص٤٢٦-٤١١

البستانى، بشرى. (٢٠١٤م). الآمال الشعرية الكاملة. عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

ـــــــــــــ (٢٠١٤م). وحدة الإبداع وحوارية الفنون. عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

ربابعه، موسى. (٢٠١٢م). آليات التأويل السيميائى. ط١، عمان: مكتبة المتنبى.

طالب الردينى، رائد فؤاد. (١٤٣٥ه). «المواجهة الحضارية فى شعر بشرى البستانى قصيدة (أندلسيات

لجروح العراق) أنموذجا». مجلة آداب الرافدين العراق. العدد٦٩، صص٢٧٤-٢٢٧
طاهری نیا، علی باقر وحسین الیاسی. (٢٠١٨م). «خطاب الأمل فی شعر بشری البستانی دراسة ونقد». مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. المجلد ٢٠، العدد٤٠، صص١٠٣-٧٩.
فتحی، غانم. (٢٠١٥م). تداخل الفنون فی شعر بشری البستانی. ط ١، عمان: دار فضاءات.
فوداک، روث وميشل مایر. (٢٠١٤م). مناهج التحليل النقدی للخطاب. ترجمة: حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد، ط١، القاهرة: المركز القومی للترجمة.
القايد، عبدالله. (٢٠١٩م). التحليل النقدی للخطاب: الخطاب الإعلامی. للدول المحاصرة لقطر، من متطلبات الماجستير: جامعة قطر.
کسرایی، محمد سالار وعلی پورشیرازی. (١٣٨٨ش). «نظرية خطاب عند لاکلا وموف، أداة فاعلة فی فهم ومعالجة الظواهر السياسية». فصلية سياسية. السنة ٣٨، العدد، صص٣٦٠-٣٣٩
ملا ابراهيمی، عزت وعلی باقر طاهری نيا. (٢٠١٩م). «شعرية المفارقة فی خطاب بشری البستانی السياسی». اللغة العربية وآدابها. السنة ١٥، العدد١، صص١٥٦-١٣٥.
عرب یوسف آبادی، عبدالباسط وطاهره میرزاده. (١٣٩٥ش). «تحليل خطاب نقدی لرسالة محمدبن عبدالله ومنصور عباسی علی أساس منهج لاکلا وموف». لسان مبين. السنة ٨، العدد٢٦، صص١٠١-٧٣
عرب یوسف آبادی، فائزة. (١٣٩٦ش). «تحليل خطاب نقدی لمکتوبات حلاج فی ضوء نظرية لاکلاوموف». أبحاث اللغة. السنة٨، العدد٦، صص٢٢-١
Laclau, E. and C. Muffe :(1985), Hegemony and socialist strategy: Towards a Radical Democratic politics, London: verso.
Mouffe , Chantal :(2000). The Democratic Paradox , London: verso.